



سيمياء مسرح الجريمة في رواية اسم الوردة المؤشر أثره
في التحقيق في رواية النول لمحمد ديب

The Crime Scene Semiotics in the Novel 'The Name of the Rose' The Indicator and its Impact on the Investigation

شارف عبد الكريم¹

¹المركز الجامعي البيض (الجزائر)، a.charef@cu-elbayadh.dz

ملخص

يحاول هذا البحث بيان العلاقة بين السيميائيات، بوصفها علما للعلامة، والتحقيق الجنائي الذي لا يبدأ إلا بعد معاينة مسرح الجريمة، وفحص الآثار المادية، هذه الأخيرة التي تمثل علامات لا بد أن تكون لها دلالات تقود البحث نحو فك لغز الجريمة، وانطلاقا من تقسيم بيرس الثلاثي للعلامة، يمكن عدّ الآثار المادية علامات من نوع المؤشر الذي يكون الارتباط فيه بين العلامة وما تدل عليها ارتباطا سببيا، وقد اخترنا رواية اسم الوردة نصّا للتطبيق لأنها في أحد جوانبها رواية بوليسية يتجسد فيها العمل التأويلي للمحقق الجنائي، ولأن مؤلفها واحد من أبرز السيميائيين المعاصرين الذين يشيدون بدور السيميائية في المعرفة.

كلمات مفتاحية: سيميائية، جريمة، مسرح، مؤشر، إيكو، تأويل.

Summary:

This research aims to illustrate the relationship between semiotics, as a science of signs, and criminal investigation, which only begins after examining the crime scene and analyzing physical evidence. The latter represent signs that must have meanings leading the investigation toward unraveling the mystery of the crime. Based on Peirce's tripartite classification of signs, physical evidence can be considered a type of index, where the connection between the sign and what it signifies is causal. We have chosen the novel "The Name of the Rose" as the text for application because, in one of its aspects, it is a detective story that embodies

المؤلف المرسل: شارف عبد الكريم، الإيميل: a.charef@cu-elbayadh.dz

the interpretive work of the criminal investigator. Additionally, its author is one of the most prominent contemporary semioticians who emphasizes the role of semiotics in knowledge.

Keywords: Semiotics; Crime; Scene; Indicator; Eco; Interpretation

1. مقدمة:

يعدّ التحقيق في الجرائم من المهام المعقدة التي تحتاج فطنة وتركيزاً من قبل المحقق؛ ذلك أنه يواجه فعلاً قد ارتكب في زمن مضى، من قبل شخص أو أشخاص غايتهم أن يخفوا كل مؤشر يوصل إليهم، وإذا كان مسرح الجريمة شاهداً على الفعل؛ فإنه شاهد صامت، يشير إلى الأفعال ولا ينطق، لذلك وجب على المحقق أن يحسن محاورة المكان قبل أن يستمع للشهادات أو يعرف علاقات الضحية وعاداتها، وأول ما يجب فعله هو الإسراع إلى المسرح، ثم المحافظة عليه ورصد المؤشرات التي يحتويها.

وفي كلّ مسرح جريمة لا بد من وجود مؤشرات، عفوية كانت أم مغالطة، ومهمة المحقق أن يدقق فيها بغرض تأويل دلالاتها للوصول إلى نتيجة، لذلك فلا يستغني أي تحقيق عن السيميائية بوصفها معينا على تفسير العلامات، لغوية وغير لغوية، وإذا نحن تجاوزنا اعتبارات العلاقة بين طرفي العلامة اللغوية عند سوسير، وأقررنا القسمة الثلاثية كما عند شارلز بيرس تبين لنا أن بعض أنواع العلامات يدل دلالة مباشرة على الموضوع من طريق السببية (المؤشر index)، ومن هذا النوع ما نجد في مسرح الجريمة، حتى وإن اجتهد المجرم في إخفاء الأثر، فلا يسلم الطبيب الشرعي، مثلاً، بأن جثة وُجِدَتْ على سطح الماء مات صاحبها غرقاً حتى يفحصها، ولا يصدّق المحقق الذي وجد بصمة على كأس أن تكون بصمة المنكر للفعل تشبه بصمة الفاعل وليست بصمته.

ولأهمية فحص العلامات وتأويلها في مسرح الجريمة، يحاول هذا البحث أن يرصد عمل المحقق الجنائي في مسرح الجريمة بربط المؤشرات مع تأويلاتها، ومدى صدق التأويلات في الوصول إلى حل لغز الجريمة، وقد اخترنا "جرائم الدير" في رواية اسم الورد لأنها رواية تشيد بالعلامات ودورها في الكشف، كما أنها باكورة الأعمال الأدبية عند واحد من السيميائيين المعاصرين، ويمكننا أن نطرح الإشكالية التالية:

ما دور المؤشرات في مسرح الجريمة في نجاح التحقيق؟ وإلى أي مدى كان إيكو ينافح عن فكرة التبصّر في العلامات وتأويلها؟

2. السمة والسيمائيات :

1.2. السمة: العلامة في اللغة ، أما الاصطلاح الأجنبي المقابل للفظ فهو semiotics أو semiologie ويعني "علم العلامة" ، ويتركب المصطلح من simeon أي علامة، و logos ويعني "علم" ، والسيمولوجيا مفهوم صاغه دوسوسير ، وصاغ شارل ساندرس بيرس لفظ سيميوطيقا "semiotic" المقابل للفظ في الإنجليزية ، وقد ترجم المصطلح في العربية عدة ترجمات ، فهو السيميائيات والسيمائية والدلائلية والعلاماتية وعلم الأدلة .

2.2. السيميائيات :

السيمائيات علمٌ بشر به العالم اللغوي دوسوسير في المحاضرات؛ إذ رأى أننا "نستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ..، وإنه سيعلمنا مما تتكون العلامات وأي القوانين تحكمها"¹، هذا العلم الذي تصوره يتخطى حدود العلامات اللغوية إلى العلامات غير اللغوية ، ويكون علم اللسانيات مبحثا من مباحثه، ذلك أن السيميائيات يدرس أنساق العلامات لغوية وغير لغوية²

وقد رأى دوسوسير أن العلامة ثنائية المبنى ، تتكون من دال ومدلول ، يشبهان وجهي الورقة الواحدة ، من حيث أنه لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فالدال صورة سمعية تستدعي في ذهن المستمع صورة ذهنية هي المدلول ، "فإذا التقطت الأذن سلسلة من الأصوات لا تثير في الذهن أي مفهوم فلا يتم توليد دلالة ما ، ولا يمكن اعتبار سلسلة الأصوات هذه جزءا من علامة"³، على أن نظر سوسير لم يتعد هذين العنصرين ، ما جعل أوجدن وريتشاردز يعترضان ، في كتابهما معنى المعنى ، على هذه الثنائية ، فالنظرية اللسانية . كما رأيا . يجب أن تتناول تحليلين "تحليل يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار، وتحليل يتناول العلاقة بين الأفكار والأشياء"⁴، واقترحا المثلث : الرمز (الدال عند سوسير) والفكرة (المدلول) والمشار إليه.

وإذا كان سوسير قد استشرف هذا العلم ، ووقف عند العلامة اللغوية ، وعند الثنائية؛ فإن شارل س بيرس، عالم المنطق الأمريكي، قد ربط السيميوطيقا بالمنطق ، "ووسع من مفهوم الدليل ليستوعب مختلف الظواهر، ككيفيات وموجودات وضروريات ، وأولى اهتماما كبيرا للعملية الترميزية بما هي ثلاثة عناصر: الممثل الموضوع المؤول"⁵ وقد رأى أن السيميوطيقا "نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات"، وهي مرادفة للمنطق ، لأنها ترمي

إلى صياغة قواعد تجنّب التفكير الوقوع في الخطأ، أي التمييز بين الدلائل الحقيقية والدلائل المزيفة التي ينبغي إقصاؤها"⁶.

والعلامة عند بيرس هي "شيء ما يمثل شيئاً ما بالنسبة لشخص ما، بمظهر ما أو إمكانية ما"⁷ فالممثل يقابله عند سوسير الدال (والرمز عند أوجدن وريتشارد)، والمؤول يقابله المدلول (الفكرة)، والموضوع، ولا مقابل له عند سوسير، وهو الذي يقابل المشار إليه عند أوجدن وريتشارد (على أن الموضوع عند بيرس هو جزء من العلامة، وليس الأشياء في الواقع كما عند أوجدن وريتشارد).

والعلاقة عند سوسير بين طرفي العلامة (الدال والمدلول) هي علاقة اعتبارية غير معلّلة طبيعياً، لأنها من وضع الجماعة، باستثناء بعض العلامات التي يحاكي فيها الدال المدلول، أما عند بيرس، وبحكم التقسيم الثلاثي للعلامة، فإن طبيعة العلاقة بين "الممثل (الدال) والموضوع تكون إما غير معللة، أو علاقة تشابه أو علاقة سببية، وبيرس يجعل العلامة من حيث العلاقة:

أ. أيقونة Icon: وهي العلامة التي تمثل موضوعها من خلال التشابه، "إن الأيقونة علامة تحيل إلى الشيء الذي تضرير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها" (قاسم و زيد د ت، 31)⁸، كما تشير الصورة الفوتوغرافية إلى صاحب الصورة، وكما يحيل رسم البناء إلى البناء.

ب. رمزا Symbol: لا ترتبط العلامة في هذا الصنف بما تشير إليه بأي رباط، سوى رباط العرف والاتفاق، ويعد بيرس هذه العلامات: العلامات الحقة، وهي عنده أكثر العلامات تجريداً"⁹، ويدخل ضمن هذا الصنف العلامات اللغوية في أكثرها.

ج. مؤشرا Index: وترتبط فيه العلامة بالموضوع عن طريق السببية، أو هي "علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع"¹⁰، ويدخل ضمن العلامة المؤشر أعراض المرض، أو الآثار على الأرض التي تدل على من خلف الأثر، والمؤشر يُحتاج إليه عند كل تعيين لشيء ما، ولا تحصل لنا معلومات عن الواقع إلا بتأويل المؤشرات"¹¹

ويعدّ المؤشر من العلامات التي ينطلق منها المحققون في الجرائم، وهي تغني رصيدهم في مواجهة الجريمة، وتوصلهم إلى كشف اللغز؛ إذا ما أحسن المكلف بالتحقيق استخدامها وتأويلها، فلا وجود لجريمة من غير مؤشرات، لأنه حتى كَوْن مسرح الجريمة منظماً ومرتباً

ليس عليه آثارُ تخريبٍ أو عبث هو مؤشر على حدوث جريمة من غير مقاومة ،وقد يعدّ مؤشرا على أن المجرم لم يكن غرضه السرقة، لكنّه، مضافا إليه مؤشرات أخرى ،قد يكون المرادُ به تضليلَ التحقيق .

3. مسرح الجريمة :

1.3. مفهوم مسرح الجريمة : لتعريف مسرح الجريمة لا بد من تعريف الجريمة التي تعني فعلَ أو تركَ شيء نص التشريع على عقوبة لفعله أو تركه ،ومسرحُ الجريمة : هو الموضوع الذي تستخلص منه الأدلة المادية ،وهو الذي يساعد المحقق في البحث عن مرتكب الجريمة ،وقد يصلح مكانا لإعادة تمثيل الجريمة، على أن مسرح الجريمة يتجاوز مكان وقوع الجرم ،فيعني المكانَ الذي حُطّط فيه للفعل ،ومكانَ إخفاء سلاح الجريمة ، والمكانَ الذي فرّ إليه المجرم¹² ،وقد يقود مكانُ وجود الجثة، مثلا ، إلى مكان وقوع الجريمة ؛ لأنه قد ترتكب جريمة في مكانٍ ما وتُنقل الجثة إلى مكان آخر للتمويه،وقد تُخفى في مكان آخر، أو يمكن أن يتحامل الضحية بعد إصابته فيبتعد عن مكان ارتكاب الجريمة.

ومسرح الجريمة قسمان :

أ. مسرح الجريمة المرتكبة: ويقصد به المكان الذي وقعت فيه الجريمة ،والذي قد تكون فيه أدلة مادية أو آثار تتعلق بالفعل الجرمي ،وقد يكون مسرح الجريمة مكانا واحدا أو مجموعة من الأماكن متصلةً أو منفصلة.

ب. مسرح الجريمة المنتظر: وهو المكان الذي يُتوقَّع أن تحدث فيه جريمة ،ويُكشَف عنه إما من قبل بعض المجرمين ،أو من قبل الشرطة بناء على معلومات من المخبرين.

2.2. عناصر مسرح الجريمة :

ولمسرح الجريمة عناصر : هي المكان والزمان والشخص ،فالجريمة لا بد أن تحدث في مكان ما يكشف عن تحركات وأفعال المجرم أو المجرمين أثناء ارتكاب الجريمة ،وله أهمية كبرى في التحقيق من حيث إنه يشتمل على الأدلة ،وعلى المحقق أن يطرح بعض الأسئلة بخصوص كيفية دخول المجرم إلى المكان ،وما الذي أخذه،وماذا ترك ،وكيف خرج ...؟ وتحديد المكان بدقة للبحث عن الآثار المادية.

أما الزمان فيراد به زمان التبليغ عن الجريمة ،وزمان وصول المحقق إلى مسرح الجريمة وفتح التحقيق، ووقت الوفاة إذا كان المسرح لجريمة قتل، ويكون ذلك بالمعاينة أو

بالاستعانة بالطب الشرعي، وتظهر أهمية الزمان في أثناء التحقيق، ومقارنة أقوال الشهود. إن كان ثمة شهود. وأقوال المتهمين، وكذا الإثباتات التي يقدمونها لتبرير الغياب عن مسرح الجريمة وقت وقوعها.

وأما الشخص، فإنه لا جريمة من غير مجرم، ولا تثبت جريمة قتل إلا بوجود ضحية، وقد يكون هناك شهود، ويجب على المحقق التثبت من الأقوال التي يدلي بها الشهود أو المتهمون، ومقارنتها.

3.3. أهمية مسرح الجريمة في التحقيق :

إن لمسرح الجريمة أهميته في الكشف عن الكيفية التي ارتكب بها الجرم، وعن الأسباب، وقد يكشف عن ملامح المجرم وشخصيته، إذن، فمسرح الجريمة هو الشاهد الصامت على ارتكاب الجرم، وينطق بكل ما حدث في أثناء إعادة تمثيل الجريمة، كما أنه يساعد على كشف صدق أو كذب اعترافات المجرم بشأن الجريمة، لأنه ليس كل ما يدلي به المجرم من اعتراف يكون مقبولا، وفي التحقيق الجنائي المعاصر: يعتمد المحققون على العلم في استخلاص الأدلة المادية (البصمات، الحمض النووي، آثار المشي، إطارات السيارة ...) وكلها نوع من المؤشرات حسب تقسيم بيرس.

المؤشرات في مسرح الجريمة :

كل مسرح جريمة لا يخلو من آثار مادية، مهما بلغت فطنة المجرم وحرصه على إزالتها، وتختلف المؤشرات بحسب اختلاف مسرح الجريمة، فقد يدل وجود كرسي وحبل معلق مربوط بعنق الضحية على حادثة انتحار، ووجود كسر على الأبواب أو أشياء متناثرة يدل على اقتحام وسرقة، ووجود طعنات على ظهر الضحية يدل على أن المجرم باغت المجني عليه، ووجود كأسين على الطاولة يدل على وجود شخصين، ووجود ضحية مقتولا في سيارة وعليه ملابسه آثار تراب أو بقايا عشب يدل على أن السيارة ليست مسرح الجريمة الأصلي، وقد تقود بقع الدم إلى مكان الجريمة، وتشويه وجه الضحية أو قطع يديها يدل على أن المجرم له معرفة أو قرابة بالضحية، فيفعل ذلك حتى لا تعرف هوية الضحية.

ولكي يكون التحقيق فعالا يجب الإسراع إلى مسرح الجريمة، لأن المؤشرات قد تتقادم عليها المدة، كأن تهب رياح فتزيل آثار العجلات أو الأقدام، أو ينزل المطر، وقد يكون الضحية ما زال على قيد الحياة ثم يموت فلا يحصل المحقق على معلومات، ومن واجب

المحقق أن يحافظ على الآثار في مسرح الجريمة، وعادة ما يتم إحاطته بشريط، وترقيم الآثار المادية وتصويره، وتصوير الجثة (في جرائم القتل).

4. سيميائية مسرح الجريمة في رواية اسم الوردة :

1.4. رواية اسم الوردة:

اسم الوردة هي رواية للكاتب الإيطالي أمبرتو إيكو (Umberto Eco)، الذي ولد بالسينديريا عام 1932، حصل على الدكتوراه في الفلسفة عن أطروحته حول توما الأكويني، عمل في الراديو والتلفزة، ثم بالتدريس في الجامعات الإيطالية والأمريكية، وقد عرف إيكو ببحوثه النقدية، خاصة في السيميائيات وفلسفة اللغة والتأويل، ومن أهم مؤلفاته "العمل المفتوح" 1962، "القارئ في الحكاية" 1979، وله مجموعة من الروايات منها "مقبرة براغ" بندوق فوكو "العدد صفر"، توفي إيكو عام 2016

صدرت رواية اسم الوردة، وهي أولى روايات إيكو، عام 1980، وقد هزت الأوساط الأدبية وقت ظهورها، وحصل بها إيكو على جائزة سترينغا 1981، ثم جائزة ميديسيس 1982، كُتبت الرواية بالإيطالية وترجمت إلى عديد اللغات، وحولت إلى فيلم سينمائي، وقد أنجزت حولها الكثير من النقود، وكان الروائي نفسه واحدا من الذين كتبوا عنها في كتابيه "حدود التأويل" و"حاشية على اسم الوردة".

العنوان والمحتوى :

لم يكن اسم الوردة العنوان الأول الذي فكّر فيه إيكو، لكنه أقرّه في الأخير ليكون عتبة تأويلية تحث القارئ على تدبر المعنى، وتجعل من العمل الروائي عملا منفتحاً على دلالات كثيرة، هكذا كان إيكو، صاحب فكرة التعاضد التأويلي للقارئ مع النص، يريد، ولأن عناوين مثل "دير الجرائم"، أو "أدسو دا مالك" هي عناوين توجه القارئ صوب معنى معين، فقد عدل عنها الروائي، واختار ما اختار "ليمنح للقارئ حرية مطلقة، لأن للوردة معان كثيرة، وقد تشير إلى كل معنى"¹³

ورواية اسم الوردة ليست رواية بوليسية فحسب، بل هي نص أدبي يمتزج فيه التاريخ والفلسفة، يتقاطع مع نصوص كثيرة، ويسافر فيه القارئ إلى القرون الوسطى، مع أدسو الراوي الذي عاش في الدير سبعة أيام جعلها زمن الرواية، وقد كان راهبا صعب غوليامو، المحقق سابقا، في مهمة إلى الدير، ويتزامن وصولهما مع حادثة انتحار أحد الرهبان

ثم تتوالى جرائم القتل، فيطلب رئيس الدير المساعدة من المحقق في فك لغز الجرائم ، ثم تتداخل الأحداث وتظهر شخصيات يكون لها أثر في مجرى السرد ، وتُجرى مناظرة لاهوتية (وهي المناظرة التي أرسل غوليامو لحضورها)، وفي الأخير يعرف المحقق والراوي أن سر الجرائم التي ترتكب هو الجزء الثاني من كتاب أرسطو الذي يتحدث عن الكوميديا، وأن الكتاب تمّ طلاء السم على صفحاته حتى يموت كلّ من يطالعه، وتنتهي أحداث الرواية باحترق مكتبة الدير وموت أمين المكتبة. المتسبب في الجرائم. من جراء الحريق .

4. 2 . السيمياء ودورها في الكشف عن غوليامو:

القارئ لرواية اسم الورد يجد منذ البداية إشادة بدور العلامات في الكشف والتأويل بقصد الوصول إلى المعرفة ، وذلك بالطبع مردّه إلى اهتمامات الروائي ، فإيكو من أبرز السيميائيين المعاصرين، وله مؤلفات في العلامة وتاريخها ، وفي السيميائيات والتأويل، وهو أحد ممثلي سيميائية الثقافة ، والعمل الروائي لا يخلو من آراء مؤلفه، وإن لم يكن راوياً أو شخصية فيه ، ولعل تلك المحاورات بين أدسو وأستاذه المحقق غوليامو تكشف لنا قناعات إيكو نفسه بخصوص الدلالات وتأويلها في حياتنا ، فمع وصول الراوي والمحقق إلى الدير يلتقيان بمجموعة من الرهبان وقد أحدثوا جلبّة ، وكانوا يبحثون عن جواد رئيس الدير ، فيخبرهم غوليامو بالاتجاه الذي سلكه الجواد ، وبصفاته ، وباسمه ، فيحترق أدسو في صنيع أستاذه، ويسأله، فيفسّر المحقق ذلك بأن العالم يكلمنا دائماً بالدلالات ، ولا بدّ للإنسان أن يقرأها ويتأوّل، وما علمته كان من آثار حوافر الجواد على الثلج، والتي كانت تبدو منتظمة ، وبما علق على الأغصان من شعره... يجب أن نستخدم العلامات وعلامات العلامات عندما تغيب الأشياء¹⁴ .

4. 2. 1 . مسرح الجريمة الأولى (انتحار أدالمو):

أولى الجرائم التي علم بها أدسو وغوليامو عند وصولهما إلى الدير كانت جريمة انتحار الراهب الشاب "أدالمو" الذي وُجد ميتاً أسفل البرج، ولم يكن رئيس الدير متأكداً من كونها حادثة انتحار لأنه دفنه في المقبرة "وبما أنه لا يمكن أن يكون.. أطل من النافذة ففقد توازنه، لم يبق إلا أن نتصور أنه انتحر، وفي هذه الحال ما كان رئيس الدير سمح بدفنه في المقبرة المقدسة"¹⁵ وقد بدا في مسرح الجريمة كثير من المؤشرات منها:

- آثار تركها انهيار الأرض فوق التبن الوسخ .

- التبن لم يكن مغطى بالثلج إلا قليلاً ، وقد هبت عاصفة ثلجية في تلك الليلة.

لم يكن هناك آثار ماء داخل قاعة المكتبة وقد هبت رياح دبور في تلك الليلة ولم تكن الرياح في الاتجاه المعاكس للنوافذ.

نوافذ المكتبة كانت عالية وكان زجاجها سميكا ،ولا تفتح إلا نادرا

.الجثة كانت ممزقة ومبللة بالثلج الذي أصبح كالجليد

.توجد صخور حيث ينتهي السور تشكّل سلّما

المؤشرات في مسرح الجريمة :

لا تكون المؤشرات في مسرح الجريمة ،غالبا ، كافية للوصول إلى الفاعل ،أو حتى تحديد نوع الجريمة (قتل أو انتحار) لكنها، بوصفها علامات ،يشترط فيها أن تقود إلى تأويل¹⁶، إذا وُجّه التأويل وجهة صحيحة بفضل الشهادات التي يستمع لها المحقق من طرف معارف الضحية أو من تعاملوا معه ،وسؤاله عن علاقاتهم به ،ويجب ربط الشهادات بالمؤشرات لأن هذه الأخيرة قد تكون متضاربة أو مضللة ،وقد يكتّم أحدهم بعض المعلومات التي تساهم في حل لغز الجريمة، كما فعل رئيس الدير، الذي كان يعرف سرا لم يستطع أن يبيح به¹⁷

وفي الاستماع إلى الشهادات لابد للمحقق أن يركز على التوقيت ،لأنه مهم جدا ،وقد أجرى غوليامو حوارا مع رئيس الدير الذي وصف له بدقة مسرح الجريمة ،كما أخذ أقوال بعض الرهبان وقد أجمعوا على أن أدامو حضر معهم صلاة النوم ،ولكنهم لم يروه في صلاة أول الصباح ،وما كان مهماً بالنسبة للتحقيق هو اعترافات "برينغاريو" الذي كان آخر من رأى أدامو في تلك الليلة وهو يطوف، ومرّ بالمقبرة ،وكان يبدو عليه الروع من جراء الذنب الذي فعله(ممارسة شاذة مع أحد الرهبان) ،وبمعايينة المحقق لمسرح الجريمة، وبتأويل دلالات المؤشرات في مسرح الجريمة خلص إلى أن أدامو كان آتيا من الخورس ومرّ بالمقبرة، وسار في الاتجاه المعاكس لقاعة النوم، نحو السور وراء المذبة، وألقى بنفسه ،وكان ذلك قبل العاصفة ،ومات أسفل السور ،ثم حمل الانهيار الأرضي جثته إلى أسفل، وقد قاده إلى هذا الاستنتاج المؤشرات سابقة الذكر ،ويمكن أن تكون دلالات المؤشرات كما يلي :

- توجد صخور حيث ينتهي السور تشكّل سلّما = ألقى أدامو بنفسه في الهاوية

وارتطمت الجثة بالصخور فمات

- آثار تركها انهيار الأرض فوق التبن الوسخ = سقوط الجثة فوق التبن من جراء انهيار الأرض أثناء العاصفة

. الجثة كانت ممزقة ومبللة بالثلج الذي أصبح كالجليد = ارتطام الجثة بالصخور أسفل السور قبل هبوطها حيث وجدت

. التبن لم يكن مغطى بالثلج إلا قليلا ، وقد هبت عاصفة ثلجية في تلك الليلة = انهيار الأرض بعد سقوط الجثة حجب الثلج عن التبن.

أما نفي فرضية أن يكون أحدًا ما قتله في المكتبة ورماه من النافذة فمؤشرات :
 . لم يكن هناك آثار ماء داخل قاعة المكتبة مع أنه كانت قد هبت رياح دبور في تلك الليلة ولم تكن الرياح في الاتجاه المعاكس للنوافذ = لو فتحت النوافذ لتسلل الماء إلى قاعة المكتبة من جراء العاصفة الثلجية، ولا يمكن أن يتسلل الماء إلى القاعة والنوافذ مغلقة واتجاه الريح لم يكن مقابلا للنوافذ .

. نوافذ المكتبة كانت عالية وكان زجاجها سميكاً ، ولا تفتح إلا نادرا = لو قتل أدامو في المكتبة لاحتاج القاتل أن يحمل الجثة ليرميها من النافذة ، والنافذة كانت عالية .

وبالطبع فإن المحقق اعتمد المؤول الديناميكي . كما يسميه بيرس . فلم يقف عند الدلالات المباشرة للعلامة (كون النوافذ مغلقة وعالية) بل تأسس المؤول الديناميكي على أنقاض المؤول المباشر... وخرج من دائرة التعيين إلى دائرة التأويل¹⁸

2.2.4 . مسرح الجريمة الثانية (مقتل فينانسيو) :

فينانسيو هو واحد من الرهبان، وكان عالما في الإغريقيات، تحادث معه غوليامو في اليوم السابق، يكتشف رعاة الخنازير جثته وقد انتصبت في الإناء الضخم المملوء بدم الخنزير ، رأسه إلى الأسفل ، وساقاه تبرزان من حافة الجرة على شكل صليب، وفي ذلك اليوم كانت السماء صافية والثلج يغطي الأرض ، ولم يكن فينانسيو حاضرا أثناء الفرض في صلاة أول الصباح.

ومن المؤشرات في مسرح الجريمة :

. الوجه لم يكن منتفخا .

. كانت آثار أقدام آدمية عميقة شيئا ما ، في مكان لم يمر به أحد .

. كانت الآثار أقل بروزا من الآثار الأخرى

. كانت الآثار ممتزجة بأثر متواصل يصل إلى باب قاعة الأكل

.لم يكن هناك جروح أو رضوض في الجثة.

.هناك مادة سوداء على أصابع يده اليمنى

وبعد أن نظفت الجثة ،أمر غوليامو الرهبان بأن يعودوا من نفس الطريق الذي أتوا منه، وأن يبقى مسرح الجريمة خاليا،وقد كان تأويل المحقق للعلامات الأولية يقود إلى الاعتقاد بأن فينانسيو لم يلق بنفسه في الوعاء،بل ألقى فيه ميتا،وما قاده إلى هذا الاستنتاج هو تفسيره للمؤشرات :

. عدم انتفاخ الوجه = ينفي فرضية الغرق ،وقد ذكر له سيفيرينو أن ملامح الغرق

تكون منتفخة¹⁹،وعليه فإنه قد قتل قبل إغراقه.

. بعد أن عاد الرهبان من الطريق التي أتوا منها لم يبق أمام المحقق إلا مكان واحد

ليفحصه ،فالتج "رقّ رائع يترك عليه جسم الإنسان كتابات غاية في الوضوح"²⁰،وبالطبع فقد أمر أدسو بأن يدقق في الآثار بين موضع السماد والصرح ،وهناك كانت آثار أقدام آدمية عميقة شيئا ما ،في مكان لم يمر به أحد = من ترك الآثار كان يحمل أو يجز شيئا ثقيلًا لذلك كانت الآثار عميقة .

. كانت الآثار أقل بروزا من الآثار الأخرى²¹ = وهذا يدل على أن الثلج قد تساقط عليها

،أي أنها خُلقت منذ وقت بعيد، ولم يكن الثلج يتساقط في ذلك الصباح .

. كانت الآثار ممتزجة بأثر متواصل يصل إلى باب قاعة الأكل = إن الذي خلف الآثار

كان يجز جسما ،وقد انطلقت الآثار من الجرة إلى القاعة ،"لقد قتل فينانسيو في المكتبة"

.لم يكن في الجثة جروح أو رضوض = القتل كان بالسم على الأرجح

. المادة السوداء على أصابعه = هي مادة سامة (يكشف الطبيب عن هذا الأمر بعد

مقتل برينغاريو الذي وجد على أصابعه ولسانه المادة نفسها)

يعود إيكو ليؤكد أهمية الدلالات في هذه الجريمة "فكائنات الدنيا ..مثل كتاب

مفتوح..²² ،إنه يُعلم القارئ بأن الدلالات تقود إلى معنى ،ولكن قد لا يكون المقصود

،فمسرح الجريمة يمكن أن يحتوي آثارا ومؤشرات يتركها المجرم للمغالطة،وليس غرض

المجرم دائما أن لا تكتشف الجثة،"لو مات ..في قاعة الأكل،في المطبخ..لماذا لم يترك

هناك؟ولكن لو مات في المكتبة لكان ينبغي نقله إلى مكان آخر،لأنه..في المكتبة لا يمكن لأحد

أن يكتشفه (وقد بهم القاتل .. أن يُكتشف)²³ لقد قتل فينانسيو لأنه كان يريد أن يعرف، أو عرف سرا عن المكتبة .

وبالفعل ، فإن هذه المؤشرات كانت أغلبها تنطق بما حدث تلك الليلة ، وقد حصل غوليالمو على اعتراف من شاهد على الجريمة ، كان ريميغيو الذي رأى فينانسيو ميتا في المطبخ ، وبقرب جثته كأس مكسور كان فيه الماء ، لم يفعل شيئا ، وفي الصباح كان يعتقد أن الجثة اكتشفت حيث وجدها ، وُهِتَ عندما علم بأنها وجدت في جرة الدم ، وفهم غوليالمو أن القتل كان عائدا من قاعة الكتابة ، وربما أحرقه السم في معدته فدخل المطبخ ليشرب لكنه مات ، وبما أنه لا أحد يتجول بحرية داخل الصرح سوى ملاخي ، فإنه هو من حمل الجثة إلى الجرة.

3.2.4. مسرح الجريمة الثالثة (مقتل برينغاريو) :

عثر الرهبان على ثوب أبيض ملطخ بالدم في غرفة برينغاريو الذي اختفى ، وبعد بحث طويل يتوصل آدسو وغوليالمو إلى جثته التي وُجِدت في أحد الحمامات ، كان حوض الحمام مليئا وبجانبه كومة من الثياب .. وسطح الماء هادئ ، ولما تفحصوا الحوض وجدوا جسم إنسان عاريا ، كان هو برينغاريو .. وملامح وجهه منتفخة²⁴.

والمؤشرات التي انطلق منها المحقق هي :

. كان برينغاريو منتفخ الوجه مشدود البطن

. وُجِدَ عاريا في حوض الحمام

. لم تكن هناك آثار ماء حول الحوض

. كان غوليالمو يلاحق برينغاريو الذي سرق الكتاب في تلك الليلة وكان برينغاريو يحب

الحمام ليزيل التوتر ، والجثة بقيت في الحمام ليلة كاملة .

. هناك مادة سوداء على ثلاثة أصابع من يدي برينغاريو اليمنى وبعض الآثار على اليد

اليسرى

. كان لسانه أسود واستطاع غوليالمو من خلال تأويل المؤشرات أن يستنتج من :

. انتفاخ الوجه وتشنج البطن = موت برينغاريو سببه الغرق

. وجوده عاريا وبجنب الحوض ملابسه = أنه دخل الحوض بإرادته دون تعنيف ، وأنه

كان يستحم فعلا .

. جفاف المكان في جنبات الحوض = أنه لم تكن هناك مقاومة ، ما يعني أنه لم تكن هناك عملية إغراق .

. كون برينغاريو يشعر بالتوتر من جراء ملاحقة غوليامو إياه لأجل الكتاب =أخذه حمّاماً ليزيل التوتر .

. وجود مادة على أصابعه وعلى لسانه = أنه مات بالسم ، والمادة يستعملها أثناء عمله في الكتابة على الأرجح ، وهي سم يقتل إذا ابتلعه الإنسان .

والمؤشر الأخير هذا بالطبيب سيفيرينو أن يعترف بتسلّمه مادةً سامة من أحد الزملاء ، وأنها خطيرة"تحدث في ظرف نصف ساعة فتورا في الجسم ، ثم شللاً لكل الأعضاء ثم موتاً²⁵ ، وتذكّر أنه فقدوها منذ مدة ، وأغلب الظن أنها سرقت، وكان رئيس الدير وأحد العاملين بالمكتبة على علم بطبيعة تلك المادة .

لاحظ الطبيب أن برينغاريو دخل المستشفى قبل أن يذهب إلى الحمام؛لأنه وجد كتاباً لم يكن من بين الكتب التي يحتفظ بها هو في المستشفى، وأخبر غوليامو بذلك ، لكن حديثه سُمع ، ووُجد هو الآخر مقتولاً ، ولا أثر للكتاب في المستشفى .

4.2.4. مسرح الجريمة الرابعة : (مقتل سيفيرينو)

كان سيفيرينو ملقى على الأرض ميتاً،وقد شُجَّ رأسه،وسالت منه دماء كثيرة ،وكانت الأواني والأباريق والكتب في المخبر ملقاة هنا وهناك ،والمكان تجمّع الفوضى ،وقُرب القتل كانت هناك محلقة كبيرة من معدن عليها صليب كُسرت بعض الدوائر فيها وعلق عليها بعض الدم والشعر ،وكان القيم ريميغيو يتملص من الخدم ليفلت منهم وهم يمسكونه ،وقد أدلوا بشهادة ضده،وأنهم بقتل الطبيب .

المؤشرات في مسرح الجريمة :

- . وجد الطبيب ملقىً وهو ميت ،وعلى رأسه ضربة .
- . كانت هناك محلقة وكانت بعض حلقاتها مكسورة وعليها آثار الدم وبعض الشعرات .
- . كان المخبر قد تعرض للتخريب وتناثرت الأواني والكتب .
- . كان القتل يضع قفازين من الجلد .
- . كانت الكتب ممزقة ومفصولة عن تجليدها .

. النافذة كانت مغلقة بإحكام ،والثلج لا يزال على الأرض في الخارج ولا وجود لآثار أقدام.

. ملاخي لم يره أحد يدخل القاعة ،ولكنه كان حاضرا في مسرح الجريمة ،وقد خرج هو وريميجيو فارغي اليدين

واستطاع غوليامو من خلال المؤشرات أن يستنتج أن :

. وفاة الطبيب لم تكن بالسم = الضربة على الرأس والمحلقة المكسورة وآثار الدم وبعض الشعر عليها يؤكد أن الوفاة سببها ضربة على الرأس .

. الطبيب كان يعرف خطر المادة السامة على الكتاب لذلك كان يضع القفازين ،وقد

فحص غوليامو لسانه فلم يجد أثرا للسواد

. المخبر تعرض للتخريب وبُعْثِرَت الأواني= المجرم كان يريد التمويه ،أو أنه كان يبحث

بسرعة عن كتاب.

. الكتب ممزقة ومفصولة عن تجليدها = المجرم تعمد تمزيقها حتى لا يُعرَف الكتاب.

. النافذة كانت مغلقة ولا أثر على الثلج = المجرم لم يرم الكتاب من النافذة

. ملاخي لم يره أحد يدخل = ملاخي كان في المخبر قبل وصول الجموع والمحقق

. ملاخي وريميجيو خرجا فارغي اليدين = الكتاب لا يزال في المخبر

وبما أن المراد عند المجرم هو أخذ الكتاب ،والكتاب لم يثبت أن أحد المتهمين قد أخرجه من المخبر، فإن غوليامو استنتج أن سفيرينو قُتِلَ لأنه وجد الكتاب الذي وضعه برينغاريو في المخبر قبل موته، وما جعله مستهدفا هو أن بعض الأشخاص سمعوا سفيرينو يحدث المحقق عن الكتاب ،وكان بانشيرو من بينهم، ولأن ملاخي كان موجودا قبل وصول الجميع فإنه هو القاتل، أما ريميجيو، بحسب اعترافه، فقد دخل لأنه فهم أن الكتاب الذي تحدث عنه سفيرينو هو رسائله السرية (ولأجل الرسائل كان مبحوثا عنه) فوجد سفيرينو مقتولا ،ووجد ملاخي في المخبر.

وفي أثناء البحث عن الكتاب في مسرح الجريمة ،كان المحقق يشك في بانشيرو ،لذلك كلفه بمراقبة ملاخي ليبعده عن الكتاب الذي كان متأكدا أنه لا يزال في المخبر ،غير أن طلب أدسو (مساعد المحقق) الخروج لفحص محيط المخبر، عند النافذة خاصة، كان هفوة في التحقيق فوّتت على غوليامو فرصة الوصول إلى الكتاب الذي عاد بانشيرو وأخذه من المخبر، وانتهى التحقيق في هذه الجريمة بإدانة ريميجيو (بتهمة القتل وبتهم أخرى تتعلق

بالهرطقة)، وقد كان المحقق يعرف أن ريميحيو ليس القاتل، بل ملاخي، أما باناشيو فقد عيّنه ملاخي أمين سرّ المكتبة بعد حصوله على الكتاب الذي لم يفتحه، ثم سلّم الكتاب لملاخي فمات بعد قراءته.

خاتمة :

بعد الوقوف على المؤشرات في مسارح الجرائم التي حقق فيها غوليامو في الرواية نستطيع أن نقول إن التحقيق الناجح لا بد أن يقف أولاً ويفحص المكان، قبل الاستماع إلى الشهادات، أو معرفة علاقات القتل بغيره من المتهمين المحتملين، لأن المجرم سيترك علامات وآثاراً تدل على الفعل الجرمي وكيفية تنفيذه، كما أن أغلب الاستنتاجات التي وصل إليها المحقق في النص كانت بداياتها من المؤشرات، وعليه يخلص هذا البحث إلى مجموعة من النقاط هي :

. أن المؤشرات هي نوع من العلامات التي يأخذ فيها التأويل طريق السببية نظراً لطبيعة العلاقة بين المؤشر وما يدل عليه.

. أن إيكو استثمر السيميائيات بمقدرة المتخصص، واستطاع أن يثبت أفكاره حول العلامة والتأويل في الرواية من خلال عمل المحقق غوليامو .

. أنه يمكن أن نربط الدرس السيميائي بالتحقيق الجنائي من خلال دراسة العلامات غير اللغوية في مسرح الجريمة .

. أن المؤشرات قد تكون عفوية ذات دلالة، وقد تكون مغلوبة لغرض تضليل المحقق، كما رأينا في جريمة فينانسيو (إغراق الجثة)

. أن الشهادات كثيراً ما تؤكد تأويل المحقق للمؤشرات في مسرح الجريمة

. أن التركيز عند فحص الجثة قد يكشف عن مؤشرات دقيقة تقود إلى سبب الوفاة

أو سبب القتل، وأن عدم مراعاتها يصعب مهمة المحقق (كما حدث مع سفيرينو عندما نسي أن يخبر المحقق بوجود المادة السوداء على لسان فينانسيو)

. على المحقق أن يحافظ على مسرح الجريمة، حتى تكون المؤشرات واضحة، وهذا ما

أكد عليه إيكو في الرواية .

. معرفة زمان وقوع الجريمة له دوره في عملية التحقيق، وفي الرواية نجد إشارات إلى

حالة الطقس (هبت عواصف ثلجية، كان الجو مشمساً، رأيناه في صلاة آخر الليل).

مراجع البحث وإجلالاته:

- 1 فيصل الأحمر، معجم السيمياء، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 16
- 2 بيير جيرو، السيميائيات دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، تر منذر عياشي، دار
نينوى، دمشق، سوريا، ط1، 2016 ص7
- 3 سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس العصرية، القاهرة، مصر، ط1، ص 19
- 4 المرجع نفسه، ص 23
- 5 مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر حميد الحمداني وآخرون، دار إفريقية
الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص 5
- 6 المرجع نفسه، ص 5
- 7 المرجع السابق، ص 20
- 8 سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، مرجع سابق، ص 31
- 9 المرجع نفسه، ص 34
- 10 المرجع نفسه، ص 33
- 11 عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 58
- 12 عبد الستار الجميلي وعقيد محمد عزيز، علم التحقيق الجنائي الحديث، دار السلام، بغداد، ط1، ص 51
- 13 أمبرتو إيكو، حكايات عن إساءة الفهم، تر ياسر شعبان، سلسلة آفاق عالمية، الهيئة العامة لقصور
الثقافة، القاهرة/مصر، ط1، 2006، ص 91
- 14 أمبرتو إيكو، اسم الورد، تر أحمد الصمعي، دار أويا للطبع والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1، ص 42
- 15 المرجع نفسه، ص 53
- 16 أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1،
2005، ص 109
- 17 اسم الورد، ص 54
- 18 سعيد بنكراد، السيمياء والتأويل المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 96
- 19 اسم الورد، ص 127
- 20 اسم الورد، ص 128
- 21 اسم الورد، ص 128
- 22 اسم الورد، ص 129

23 اسم الوردة ، ص 129

24 اسم الوردة، ص 283

25 اسم الوردة ، ص 292

قائمة المصادر والمراجع:

1. أمبرتو إيكو. اسم الوردة. د ط . ترجمة أحمد الصمعي. طرابلس: دار أويا، د ت.
2. السيميائية وفلسفة اللغة. ط 1. ترجمة أحمد الصمعي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.
3. حكايات عن إساءة الفهم. ط 1. ترجمة ياسر شعبان. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2006.
4. بيار جيرو. السيميائيات دراسة الانساق السيميائية غير اللغوية. ط 1. ترجمة منذر عياشي. دمشق : دار نينوى ، 2016.
5. سعيد بنكراد. السيمياء والتأويل. ط 1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.
6. سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد. مدخل إلى السيميوطيقا. د ط . القاهرة: دار الياس العصرية، د ت.
7. عادل فاخوري. تيارات في السيمياء. ط 1. بيروت: دار الطليعة، 1990.
8. عبد الستار الجميلي، وعقيد محمد عزيز. علم التحقيق الجنائي الحديث. د ط . بغداد: دار السلام، د ت.
9. فيصل الأحمر. معجم السيمياء . ط 1. الجزائر : منشورات الاختلاف ، 2010.
10. مارسيلو داسكال. الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة. د ط. ترجمة حميد لحمداني وآخرون. الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، 1987.